خطبة صلاة الجمعة 10/2/2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الضراعة لله وغوث الملهوفين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 214-215].

الآيتان في سورة البقرة جمعتا بين الابتلاء بالبأساء والضراء والزلزلة وبين الإنفاق في سبيل الله؛ لتدلّا على أثر الإنفاق في كشف البلاء، والله أعلم

عنوان خطبة اليوم: **الضراعة لله وغوث الملهوفين**

أيها الإخوة:

الهزة والرجفة والزلزلة التي لحقت بالبلاد والعباد وتتابع المحن والشدائد، تدعو المؤمن إلى أمرين فيهما النجاة في الدارين، الضراعة لله وغوث الملهوف من عباد الله.

أما الضراعة لله فبالتذلل له والتوسل إليه والتمسكن والتوبة بين يديه والعود إليه وتصحيح ما سلف من أخطاء.

وأما غوث الملهوفين فببذل المال والجهد والكلمة الحانية المواسية.

وخطبة اليوم صور من الضراعة والغوث، مرة من هذه ومرة من هذه، تعين الذاكر وتذكر الناسي.

فمن صور الضراعة لله: يصف القرآن الكريم أحوال الأنبياء عندما تنزل بهم الشَّدائد والأزمات بأنَّهم يلجؤون إلى الله يتضرعون، ويُقبلون عليه، ويجأرون بالدُّعاء والتَّوبة والبكاء.

فقال عن سيِّدنا يونس عليه السلام لَمَّا كان في بطن الحوت: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:87].

قال ابن كثير في تفسيره: (﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كانوا في الشَّدائد ودَعَونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعَوا بهذا الدُّعاء في حال البلاء، فقد جاء التَّرغيب في الدُّعاء به عن سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وسلم). أخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**دعْوةُ ذِي النُّونِ، إذ دعا في بطنِ الحوتِ، قال: لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين: ما دعا بها أَحَدٌ قَطُّ إلا استُجيبَ له**».

ومن صور إغاثة الملهوف من عباد الله: ما روته كتب التاريخ والسير أن قحطاً وشدة أصابت الناس زمن عمر فعس عمر في المدينة ذات ليلة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السُؤَّال سألوا فلم يعطَوا فقطعوا السؤال، فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد.

فكتب إليه عمرو بن العاص: «لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص أما بعد: فيا لبيك، ثم يا لبيك، وقد بعثت إليك بعيرٍ أولها عندك وآخرها عندي. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فبعث إليه بعيرٍ عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً، فوزعها عمر على الناس.

ومن صور الضراعة لله: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا، دعا فقال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولُنا وقوتُنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد.

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا.

قام العباس ودعا فقال: "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث". قال: فيسقون.

ومن صور إغاثة الملهوف من عباد الله: ما أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وغيره عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ**»، وأخرج عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَغَاثَ مَلْهُوفًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ حَسَنَةً، وَاحِدَةٌ مِنْهَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهَا آخِرَتَهُ وَدُنْيَاهُ، وَالْبَاقِي فِي الدَّرَجَاتِ**».

ومن صور الضراعة لله: قال سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما سمعنا منشِداً يَنشُد حقاً له أشدَّ مناشدةً من محمَّد يوم بدر؛ جعل يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ العِصَابَةَ لَا تُعْبَدُ...**».

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ**».

وعن حُذيفة رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى». أي: إذا نزل به أمر مهمٌّ أو أصابه غمٌّ.

ومن صور إغاثة الملهوف من عباد الله: ذكر ابن بشكوال عن طالوت بن عباد، قال: إني لنائم في بعض الليالي على فراشي، إذ أتاني آت في منامي فقال لي: يا طالوت، أجب الملهوف.

فانتبهت فزعا، فذكرت الله عز وجل ثم عدت إلى مضجعي، فأتاني الثانية فقال لي: يا طالوت، أجب الملهوف. فقلت: وكيف لي بإجابته؟ قال: اركب دابتك فحيث ما وقفت فثم هو.

قال طالوت: فقمت، وأخذت مائة دينار، وركبت دابتي وألقيت عنانها في عنقها وأرسلتها، فسارت في أزقة بغداد، حتى خرجت من البنيان، فوقفت على باب مسجد خرب، فنزلت فدخلت المسجد، فسمعت حسا في جانب منه، فسلمت فرد علي السلام، فإذا شخص قاعد يدعو فدنوت منه، فقلت له: يا هذا ما شأنك وما خبرك؟ وأخبرته بما رأيت في نومي.

فقال لي: نعم، أنا رجل مقل ولي بنيات، فمنذ ثلاث لم نطعم شيئاً، ولم نجد ما نطعم، فخرجت هذه الليلة لأدعو الله عز وجل في هذا المسجد وأسترزقه.

قال طالوت: فأخرجت المائة دينار، فدفعتها إليه ثم قلت: رحمك الله، أنا طالوت بن عباد الصيرفي المحدث، فإذا نفدت هذه الدنانير فأتني. قال لي: سبحان الله، يا طالوت: أأترك الذي أقامك من

سريرك، وأتاني بك في ظلمة هذا الليل، وآتيك أو آتي غيرك من المخلوقين؟ قال طالوت: فعجبت والله من حسن يقينه، وصحة ثقته بالله عز وجل، ومما فتح الله له، وركبت دابتي وانصرفت.

ومن صور الضراعة لله: خرج التَّابعي الجليل العابد محمَّد بن واسع في جيش قتيبة بن مسلم الباهلي، فلمَّا تراءى الجمعان رأى المسلمون من كثرة عدد عدوهم ووفرة عدته وعتاده ما ملأ نفوسهم خشية منه وهيبة له. التَفَتَ قتيبة فلم يرَ ابن واسع، فأرسل بعضَ من عنده يطلبونه، فلمَّا عادوا إليه قالوا: وجدناه يشخص ببصره إلى السَّماء، ويحرك أصبعه ويدعو، أفندعوه لك؟ قال: لا، فوالله لأصبع محمَّد بن واسع في الجيش أحب إلي من ألف شاب طَرِير (ذي شارب)، وسيف شهير.

فلمَّا أتاه محمَّد بن واسع قال قتيبة: أين كنت؟ فقال: كنت أهزُّ لك أبواب السَّماء.

والتَحَمَ الصَّفان، والتقى الجمعان ومنح الله ظهور أعداء المسلمين للمسلمين.

ومن صور إغاثة الملهوف من عباد الله: أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن رسول الله: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ تُنَفَّسَ كُرْبَتُهُ، وَأَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ، فَلْيُيَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، أَوْ لِيَضَعَ لَهُ، فإِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»** قال جعفر: قيل لهشام: ما اللَّهفان؟ قال: هو والله المكروب.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب: من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب.

أيها الإخوة:

الضراعة لله أوجب الواجبات في هذه الأوقات؛ نصحح ما مضى ونستدرك ما فات، وإغاثة الملهوف وإعانة المكروب من آكد علائم الإيمان، وضرورات الإحسان، في هذه الساعات.

فيا رجال اللَّيل، افزعوا إلى الله في صلاتكم باللَّيل ليرحم الله هذه الأمة، فإنَّ سهام اللَّيل لا تُخْطئ.

ويا أهل الصَّدقات، ابذلوا لله صدقاتكم وأروا الله هباتكم.

ويا رجال الله، اجأروا إلى الله بالدُّعاء أن يزيل الغمَّة عن البلاد والعباد.

ويا أهل الذِّكر، ويا أهل القرآن، ويا أهل الصَّوم، ويا أهل مجالس الصَّلاة على النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، ويا أهل المناجاة، الله الله في الدُّعاء، والضَّراعة والالتجاء.

ويا من بَعُدتم عن الله توبوا إليه، ويا من تركتم الفرائض عودوا إليها، ويا من عققتم الآباء وقطعتم الأرحام اليوم يوم البرّ والوفاء، ويامن نسيت الخالق اليوم يوم الرجوع إليه.

﴿يَاأَيُّهَا النَاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: 15-17]

وأختم بأبيات أنشأها الشيخ شرف الدين التيفاشي، وهو من وفيات سنة إحدى وخمسين وستمائة، يصف زلزالاً فقال:

أما ترى الأرض من زلزالها عجباً ... تدعُو إلى طاعةِ الرحمنِ كلَّ تقي

أضحتْ كوالدةٍ خرقاءَ مرضعةٍ ... أولادَها درَّ ثدي حافلٍ غَدِقِ

قد مهّدَتهم مهاداً غيرَ مضطربٍ ... وأفرشتْهم فِراشاً غيرَ ما قَلِقِ

حتى إذا أبصرتْ بعضَ الذي كرهتْ ... مما يشقُّ من الأولادِ من خُلُق

هزّتْ بهم مَهدَهم شيئاً تنبههم ... ثم استشاطت وآل الطبعُ للخَرَق

فصكَّتِ المهدَ غَضبى فهي لافظةٌ ... بعضاً على بعضِهم من شِدّةِ النزقِ

اللهم إنا نسألك أن تتلطف بإخواننا المتضررين وأن تحفظهم وتحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وشمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

والحمد لله رب العالمين